كتابك

٧٥م ٤

فتحى سعيد

أبو الوفا ..
رحلة الشعر والذكريات

دار المعارف

كتابك ٢٧٥

رئيس التحرير **أنيس منصور**

فتحي سعيد

أبو الوفا..

رحلة الشعر والذكريات

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

لم أقل غير ماحسبتُ مفيداً
ليت شعرى هل قلت شيئاً مفيدا ! ؟
فإذا عشتُ . . عشت حرًّا ضميرى
مستريحاً لما صنعتُ سعيدا
وإذا متُّ . . مت حرًّا لأنى
لم أُضفْ للحياة قيداً جديدا
بل إذا مت لم أجرَّ ورائى
من كلامى . . سلاسلا وحديدا . .

محمود أبو الوفا

غلب البهاءُ على القريض وكأسهِ
فسقى بعذب نشيده العشاقا
البلبل الغرِدُ الذى هزَّ الربا
وشجى الفصول وحرك الأوراقا
سبَّاقُ غايات البيان جرى بلا
ساق . . فكيف إذا استردَّ الساقا ؟
لو يعرف الطب الصَّناع بيانهُ
أو لو يسيغُ لما يقول مذاقا
غالى بقيمتهِ فلم يصنع له
إلا الجناحَ . . مُحلقاً خفاقا . .

أمير الشعراء
أحمد شوقى

كلمة اعتراف واعتذار

● **رحم الله أبا الوفا . .**

عاش وحده ومات وحده .

وكم وددت لو كان هذا الكتيب الصغير باقة ورد وعبير ، أضعها بجوار فراشه وهو حي بعد . .

ويشاء القدر أن يكون باقة ورود ذابلة أضعها على شاهدة قبره بعد وفاته ! .

وله العتبى حتى يرضى . .

ولهذا الكتاب حكاية أتعزَّى بروايتها التماساً لمدى عذرى وقصور يدى . .

بدأت الفكرة عندما امتد حبل الحديث عن الشعر والشعراء . . وكان فى جعبة الأستاذ الكبير إبراهيم زكى خورشيد المستشار الثقافى لدار المعارف الكثير من الذكريات عن صديقه القديم محمود أبو الوفا . .

وكلفنى وفاءً منه للرجل أن أطلب منه أشعاراً للطفل إسهاماً منه فى مشروعات يعدها عن أدب الأطفال . .

ولم يكن عند أبى الوفا بقية من فتوة وجلد ، يعيناه على تلبية الدعوة . . جسد واهن نحيل شفَّ حتى كاد يطير . . وبقايا خفقات

محترقة فى قلبه العليل . . وعينان ساكنتان بلا حراك . . فقط قريحة وقّادة وعقل واعٍ غير غافل ينبض بالحياة وشريط لا ينقطع من الذكريات .

ووجدت خير بديل أن نجمع مختارات من أناشيده القومية والدينية التى كتبها بلغة عذبة ميسرة للطفل . . كتلك التى كانت نصوصاً مقررة علينا بالمرحلة الابتدائية فى الثلاثينات مثل شجرة القطن ، والفلاح ، ودعاء الصباح ، إلى أن كلفنى أن أضع هذا الكتيب عنه ليكون بمثابة وفاء وتقدير من الرجل لصاحبه القديم . .

وذهبت إليه . . كان بالرغم من رقدة الفراش الدائمة لا يعترف بحساب السنين وأغلال المرض والشيخوخة . .

وكان يؤمن بحقه المطلق فى جائزة الدولة التقديرية وكأنها سترد له العافية والقوة . .

وكنت عاجزاً تماماً أمامه . . لا أملك إلا أن أحتوى ذكرياته وأسجلها وأنعم بصفاء جلساته على قلتها . .

ولم يكن بيدى شىء سوى الكلمات . . وما أقصر قامتها أمام مطالب الأحياء ربما كانت على حد قوله جرعات دواء شافية له ، ولكنها كانت أعجز من أن تصنع شيئا .

وخفّت الزيارات رويدا رويدا . .

وكان هو الأسبق والأكرم دائماً . . يحدثنى بصوته الرعش الرخيم مفتقداً الغيبة الطويلة فأسوق له الأعذار ، وأدبج الأكاذيب فيضحك

ساخراً ضحكته المُخَصَّرة النبرات ، وأتعلل مرات أخرى بالسفر حينا ، والمرض حينا آخر ، فيذكرنى بأنها أعذار سقتها منذ عام مضى ووعاها وغفرها لى ، فأنتحل سواها ، وهو لفرط رحابته وحبه يصدقها ويعلم كذبها . .

كان ذلك سبب قصورى عن أن أصنع له شيئاً . وأكتفى بالفرجة عليه والأيام تنفرط من بين يديه بددا . .

وكان السبب الآخر . . شيئاً لم أبح به وأسوقه له عذراً . . .

ذلك ما كنت أعانيه وأكابده من تجديد الوجيعة ، ونكأ الجراح ، كلما لقيت أبا الوفا . .

كنت أرى فيه صورة أبى وهو يزحف لأعوامه التسعين . .

الوجه الشامخ العريق ، العينان النفّاذتان المُلوَّنتان ، الدفء الدافق الوثير ، الصوت المترع بالشجن والذكريات ، الحلم والسكينة والشعر ، حلاوة الصحبة الطويلة ومتعة المعاشرة ، ولم يكن أبو الوفا يدرى عن ذلك شيئا . !

كنت أعود من لديه فى كل زورة ولقاء ، فأتقلب على الجمرات ويصحو الشجن القديم . .

وما إن يضمنى جدران غرفتى ، حتى يطالعنى وجه أبى فأبلله بالدمعات ، وأعدو بين قسماته كطفل عارى الثياب ، وكأنى مُبتلى بذلك الحزن المقيم ، وطويت القلب على ما فيه ، وانقطعت بيننا الأيام ، وكلما

طالت ، خلته نسى ، ينبعث صوته حانيا عاتباً ، حتى كانت آخر مرة له ، ليقول لابنتى :

«سلمى على أبيك وقولى له شكراً . .

ولم تكن كلمة « شكرا » سوى سكِّين عتاب ذبحتنى برفق . .

ضاق بى وبالقطيعة وله الحق : فرد على سوء الصنيع بكلمة شكر كانت فصل الخطاب فى العتاب واللقاء . .

* * *

ثم كان هذا الكتاب ، حصاداً لاهث القطاف ، لا يعبر عن مواسم الفصول . .

ومر عام ، وحجب ظهوره كتابى عن شوقى أمير الشعراء . . إلى أن حدث منذ أيام حين قال لى صديقى الشاعر أحمد سويلم :

أما آن لك أن تراجع أصول كتاب أبى الوفا . .

وقلت له وأنا كسيف البال :

قلبى يحدثنى أنه لن يصدر إلا بعد موت أبى الوفا . .

وقد كان . . ما إن مرت أيام قلائل حتى رحل شاعرنا الكبير وآن للكتاب أن يرى النور ، بعد أن غاب عن عيونه النور . .

ولعله فى رقدته الأخيرة وله من روحه قدرة الاستجلاء والتشوف أن يغفر لى التقصير ، وينوب عنى فى التماس العذر . . ولعل هذه الدراسة العجلى تقوم مقام التكفير والاعتذار ، وحسبى تخفيفاً لفداحة الأسى وثقل

الذنب ، أنه قرأ وسمع بعض فصوله ، فعذرا ومغفرة . . ولعله يبتسم لى بسمته الأليفة وأنا أردد له قول الشاعر القديم :

ولما رأتنى فى السباقِ تعطَّفتْ
علىَّ وعندى عن تعطُّفها شُغْلُ
أتت وحياضُ الموت بينى وبينها
وجادت بوصلٍ حيث لا ينفعُ الوصْلُ

« فتحى سعيد »

مقدمة

● كثر الحديث فى الأيام الأخيرة عن الشاعر محمود أبو الوفا . . وكأنما ارتفعت الستار عنه فجأة بعد أن علاها الغبار وتراكمت فوقها السنون . .

فكتبت الصحف والمجلات المصرية الكثير عنه . . ونبهت إلى أنه مازال بين الأحياء حيًّا يرزق وأنه يعيش رهين ثلاثة محابس لامحبسين . . الساق التى فقدها طفلا ونور البصر الذى انطفأ شيخاً وجدران بيته الذى لا يغادره وكنت قد ذكرت ذلك فى عدة مقالات وكلمات منشورة وبعض الأحاديث الإذاعية من أعوام خلت . . دون جدوى !

وفجأة تبارت الأقلام وعدسات التصوير فى تصوير حياته وذكر مناقبه وكأنه أثر من الآثار الدفينة اكتشف فجأة . .

وقاد الأستاذ مصطفى أمين فى جريدة الأخبار القاهرية حملة من أجل تكريمه وعلاجه وتوالت التبرعات من ذوى النخوة ومحبى الشاعر . . وزاره وزير الثقافة فى بيته المتواضع . . ونشرت صور ذلك اللقاء فى المجلات والصحف ثم طويت بعد حين . .

وأخيراً . . كرمه رئيس الجمهورية فى عيد الفن الأخير بمنحه وسام الفنون ومعاشاً استثنائياً ومع ذلك كله . . مازال الشاعر يعيش فى ذلك

الجب العميق فى عزلة عن زائريه وعن ضوء الشمس . . ولم يتحقق أمله وهو مطلبه الأول فى الظفر بمسكن قريب لائق برغم الوعود . . لانزوعاً منه إلى الترف أوإلى اللين ودعة العيش . . فإن جرعة ماء ترويه ونسمة هواء تغذيه . . وإنما حيلة منه لكى يدنى المسافة لأحبائه وزائريه ويذلل لهم الطريق إلى بيته بدلا من الخوض فى وحل الحارات والأزقة حيث يقيم . !

ثم انحسرت الموجة تماماً . . وعاد الرجل إلى الظل مرة أخرى . .

وتساءلت لماذا لايدب فينا عنصر النجدة إلا بعد فوات الأوان ؟ لماذا لانكرم الفنان حيًّا وفى صمت بدلا من أن ترتفع الصرخات من أجله ونكرمه وهو مشلول أوقعيد وكأننا نشهر به على الملأ .

أى تكريم لشاعر مثله وهو يدلف إلى الثمانين . . ولم يبق إلا القليل ! ؟

وتذكرت قول أبى الأسود الدؤلى حين قال : « إذا أردت أن تعظم فمت . . »

نعم . . فنحن لانلتفت للأحياء من كبار الفنانين والعلماء إلا بعد فوات الأوان . . وكأنهم باستمرار حياتهم بيننا لايستحقون تكريماً ورعاية . . أما إذا غادروا الدنيا فما أشد النحيب والبكاء وخطب الرثاء الرنانة عنهم ؟

هذا هو الشاعر محمود أبو الوفا . . الذى يعيش فى صمت وعزلة

زاده الإيمان بالله . . ودستوره التواضع له وحب الناس جميعاً برغم مالاقى من نكران . .

نقدمه اليوم فى هذه الصفحات لعلها تكشف الضوء لمن لايعرف عنه الكثير . .

يناير ١٩٧٨

بداية أول لقاء

عرفته منذ عشرين عاماً أو يزيد . . منذ كنا نفد من بعيد إلى العاصمة مبهورين نرتاد فيما نرتاد ندوته الحافلة فى بيته الذى لم يغادره حتى الآن بحارة « درب العمرى » المتفرعة من أزقة كثيرة بميدان باب الخلق بالقاهرة . .

كان يجلس على أريكته فى حجرة متواضعة عارية أوتكاد إلا من سرير عتيق ذى أعمدة أربعة وبضعة مقاعد .

طويل القامة عالى الهامة وضىء الملامح يشع أُنْساً وراحة وألفة وكأنك تعرفه منذ زمن بعيد . . يفتح لك قلبه للوهلة الأولى . . ويتفرس فيك بعينين نفاذتين وكأنه يقرأ سطور أعماقك . .

وكانت جلسته مقصداً للزائرين ومحبى الشعر من الشباب والشيوخ معاً . . نسمع إليه وقد انطلق يتكلم أويتلو الأشعار والذكريات بصوت خفيض حبيب واضح النبرات كأنه النبع الذى يفيض ولايغيض . وكل منا لفرط حنوه وتعاطفه يحس بأنه وحده صديقه الأثير . .

ومرت السنون . . وسعينا فى مناكبها وألهتنا دوامة الحياة وحالت الأيام بيننا وبين لقاء شاعرنا الحبيب أبى الوفا . .

ومع الزمن . . صمت صوته رويداً رويداً . . داهمته العلة تلو العلة

وأبهظته تكاليف الحياة بعد أن أحيل إلى المعاش . . وتوارى الرجل خلف زوايا الصمت . . وشدتنا بعيداً عنه شواغل الدنيا فما عدنا نسمع عنه خبراً . .

وذات مساء ليس ببعيد سمعته يتحدث عبر موجات الأثير فى إحدى برامج الإذاعة . . وكأنه بعد طول صمت يعلن أنه مازال حياً بعد . . وأخذتنى رجفة وأنا أصغى إليه يتحدث . . انطلق الصوت كأنه انفلات الشعاع من قبضة الظلمة ينسكب رويداً رويداً وينتشر خرير موجات أنهكها هدير البحر كأنه « عجوز همنجواى » يلقى بشباكه إلى الأعماق وقد وهنت اليدان وكل البصر وغام الأفق وارتعشت الكلمات فى الحلق وتسلق الصوت جدران الزمن . . يغوص ليصطاد الأصداف ويلوذ بالمحارات البيضاء لأن فيها نقاء قلبه وبراءة عالمه .

وينطلق الصوت هابطاً على هدير شلال صاعداً فوق حزمة ضوء . . خصيب مترع عميق يمتزج فيه دفء الأبوة بعنفوان الشباب يسترسل على استحياء ومشقة لطول ماألف الصمت واستغنى عن الكلام كالسيف يصدأ لطول الثواء فى الغمد . .

جدول من حب وحنين تساقط فيه الندى من جبهة الفجر فانتشر الخرير وانثال فى نبرات معتقات الدنان فى أقبية الزمان ما إن فضَّ ختامها حتى دارت بالقلوب وتدفقت « كشدو البلبل الغرد الذى هز الربا وشجى الغصون وحرك الأوراقا » .

ذكريات تطير بك على جناح وتهز قلبك كأنها الأقداح . . لأنها نابعة من قلب رحب أحب حتى رأى الدنيا كلها زنابق ورياحين . .

من ذلك العجوز المغترب الذى يلغط بالحب والحياة والأمل والزهر والأنسام وقدرة الإنسان ولايتحدث عن مرضه وعزلته ونكران المجتمع الأدبي له ؟ ابتلاه الدهر بما ابتلاه فما فقد جسارته ولا كرامته ولاوقاره كأنه « أبو فراس » تكبله قيود الروم ويهتف :

وقورٌ وأحداث الزمان تَنُوشُنى ... وللموت حولى جيْئةٌ وذهابُ

هذا العجوز الذى له قلب شاب وأعتبره « موسيقاراً كبيراً » غنى له فى صباه أعذب وأشهر أغانيه عن « المساء » أعتبره « مرحوماً » ولايغضب الرجل بل يغدق على الموسيقار الكبير الحب والسماحة . ويبتسم لأنه سبق غيره بقوله :

وغدوت فى الدنيا ولاأدرى أمنْ ... أحيائها أنا أم من الأمواتِ ؟

هذا الشاعر الكبير أيها الناس . . هو آخر عنقود الشعراء الكبار فى كرمة الكبرياء ودوحة الاستعلاء مهر شعره بأغلى المهور ودفع فى سبيل عزة نفسه فوق مايستطيع وهون الصبر عليه النوازل فلم ينزلق أويتكالب على مقعد أو دائرة ضوء . . بل لم تضمه « لجنة الشعر » إلى قائمتها على حين ضمت من هم دونه شهرة وشعراً . . لأنه لم ينزل نفسه غير منزلها .

كان من الممكن أن يكون ولكنه لم يكن قط ! لأنه من تلك التركيبة الفطرية التى ترفض قبل أن تكون مرفوضة . ! تلك الطبيعة المصادقة التى

تشى بمكنونها من قيم عليا تثير فزع الذين لايتعاملون بهذه العملة النادرة . . طبيعة لايمتطيها أحد . . لأنها بنت أصالتها وسيدة نفسها ولاسلطان لأحد عليها إلا الشعر والكرامة . . هذا الشاعر أيها الناس اسمه « محمود أبو الوفا » ، لايشغل منصبا ولايقف بالأبواب ولذا فهو ليس نجماً ولاصاحب أخبار فى أعمدة الصحف . . قد لايعرفه معاصروه ولكن الشعر يعرفه جيداً ويعرف أنه من الشعراء الذين كتب عليهم ألاينالوا الجدارة والصدارة وهم فى حلبة السباق بعد . وقد زكم الغبار الأنوف وتدافع أصحاب المناكب القوية على الظفر بالغار وأَنَّى له ذلك وقد حرمه الزمن الساق ! ! ولكن بعد أن يرتفع الغبار وترتقى الشمس مدارج النور ويستفيق الشاربون من نقيع الوشائج وتبادل المنافع سيصبح اسمه عالياً وضيئاً .

وأبو الوفا من هؤلاء . . لايطلب إكليلا ولاجائزة فقط يذكره الناس إنساناً . . لاأكثر :

حسبى إذا الحب أضنانى فمتُّ هوًى

إن يذكرونى قالوا كان إنسانا

عن الشعر والذكريات ورحلة العمر

وهرعت إليه فى مساء اليوم التالى . . فى البيت القديم الواغل فى أعماق الأزقة والحارات وقد ضاقت عن ذى قبل . . تضاعف الأحياء فيها وزاد الضجيج وتراكم الغبار . .

وطرقت الباب . . ووجدته هناك قابعاً فوق أريكته فى نفس حجرته العارية ملتحفاً عباءته وكأنه مازال حيث ألفناه وتركناه من سنين . . وكان لقاء . . وكان حديث وحوار . . وذكريات رحلة السنين وشجن دفين ما كان ليفضى به لولا شدة وطأته عليه وطول تجلده له حتى فاض الكيل . . وقد ذهب عنه نور البصر . . وداهمته علة القلب وانتصر على ذلك كله بنور الإيمان وحلاوة الرضا والقبول . .

● من أين نبدأ . . وكيف نبرر هذا الغياب الطويل وذلك الجحود ؟

ويخف الرجل إليك ليوفر عليك عناء الكلمات يفيض عليك حباً وسماحة وينوب عنك فى تقديم الأعذار والتعلل بشواغل الأيام وصراعات الحياة وينطلق الحديث على سجيته دون إعداد وإنما ينبعث من القلب إلى القلب دافئاً صادقاً عذْباً يقلب صفحات الماضى ويستعيد رحلة أعوام طويلة حقاً ، ويدور شريط الذكريات . . مذهبه فى الشعر بعد تجربته العريقة فيه . . رأيه ومعاصرته للشعراء . . شوقى وحافظ

وعبد الرحمن شكرى والأمير عبد الله الفيصل وعزيز أباظة وشعر هذه الأيام وانطلق يتحدث وكأنه يغترف من بحر:

● « مذهبى فى الشعر بعد طول مراس وتجريب هو أنه هناك شعر أولا شعر لا وسط بين الاثنين . . موهبة ودراسة .

وكذلك الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه وجدتنى أبعد خلق الله عن كل تبعية أو أنتمائية إلى أى ناحية مذهبية أوطائفية . عما يعرف فى الأوساط الأدبية بالكلاسيكية والرومانسية أو الواقعية والمثالية .

وأظن أنه لايختلف اثنان فى أن الشعر ينبغى له أن يتجدد ثم يتجدد حتى يبلغ من النمو والتطوير إلى نفس المستوى الذى يستطيع به أن يجيد التعبير عن أمته .

ولكن أى تجديد هذا الذى يراد به لشعرنا حتى يتمشى مع طموحنا ؟ هل هو التجديد الذى يتداعى إليه أصحاب هذه المدارس والمذاهب إياها ! ؟ وقصارى كل مافيه من تجديدات فإنها ما هى بأى حال من الأحوال أكثر من أنها شكليات أوسطحيات » .

● ما التجديد إذن الذى ينبغى أن يكون ؟

إن التجديد الذى ينبغى للشعر الآن يجب أن يتجاوز هذه المظهريات جميعاً إنه يجب أن يخترق هذه القشرة البشرية الجلدية حتى يصل إلى النقطة الحساسة الجوهرية التى متى خرج منها التعبير أى تعبير فإنه حينئذ لا يمكن إلا أن يكون مشحوناً بكل مافى صاحب هذا التعبير من إخلاص

وصدق وعقيدة ووجدان وضمير . .

هذا هو الشعر كما أعرفه . . وكما قرأته عن الشعراء القدامى من كل لون .

ومن جميع العصور وجميع المذاهب والألوان . . متقدمين متأخرين جاهليين مخضرمين أمويين وعباسيين خوارج أوشعوبيين من الفُتّاك أوالصعاليك حتى شعراء المماليك إلى شعرائنا العصريين أوالمعاصرين من المصريين أوغير المصريين من العراق إلى الشام إلى لبنان إلى الأعزة الأماثل من الشعراء المعروفين بالمهجريين حتّى الشعراء الصوفيين من السهروردى المقتول إلى ابن عربى إلى ابن الفارض والبرعى والبوصيرى ونسيت أن أقول حتى الحلاج أيضاً . .

أى نعم لكل هؤلاء قرأت وأقولها بكل فخر أعجبت وانتفعت وإنما فقط على القاعدة التى عليها خلقت فكنت منذ شدوت وهى أنى لاآخذ إلا مااستحسنت دون أن أحس أن أحداً غلبنى على عقلى أوفرض على أى سلطان .

● أما عن التجديد ودعاوى النقاد حول قضية الشعر فإننى أقول :

« إن هذا التجديد الذى يدعوننا إليه ليس فيه أى تجديد مطلقاً ولعله أولى أن يسمى بالتجميد لابالتجديد .

إن تجديد شعر أية أمة من الأمم ينبغى أن يوضع فى كفة وطموح هذه الأمة فى كفة أخرى فإن تعادلا فى كفتى هذا الميزان فهو ذاك وإلا . .

ولقد مر الشعر العربي فى هذه التجربة فى عدة أزمنة فما قصَّر فى أى زمن كان . . فقد حمل رسالته فى عهد القبيلة أيام جاهليته فما تفوق عليه أى شعر . . حتى إذا انتهى عهد القبيلة وجاء دور الدولة فما كان اقل صولة ولاأضعف جولة وجاء دور الأمة فما كان أسبقه إلى رفع اللواء والجهر بالنداء والحداء .

هذا هو مذهبي فى الشعر . . ومفهومى للتجديد . .

نُفُور شوقى . . وبكاء أمى :

ويسترسل شاعرنا . . يحكى وكأنه يقرأ من سطور ذاكرته فى كتاب مفتوح أمام عينيه . .

شوقى أمير الشعراء . . ازدرانى عندما رآنى أول مرة . . وصغرت فى نظره لعَرَجى . كنت أرتدى الزىَّ الذى ارتضيته لنفسى الجلباب والطاقية والبالطو . . والعكازة التى هى ساقى الثانية . . ونفر شوقى من ذلك المنظر السوقى فى الحفل الكبير واستعظم أن يشترك فى الحفل شاعر على هذا النحو . . فنفرت منه بدورى وقاطعته بعد أن ألقيت قصيدتى وأفحمته .

وبعدها تراجع وأسف وسعى إلى وقال فى حفل تكريمى قصيدته الشهيرة وقال فى الساق العرجاء التى نفر منها قولته الذائعة :

سبَّاق غايات البيان جرى بلا ساق فكيف إذا استرد الساقا ! ؟

وعهد إلى بعد ذلك بمراجعة دواوينه وقمت بتحقيق الجزء الثالث من ديوانه الشوقيات . .

وقد نشرت شعرى فى الأهرام ونشرت صورته معى . . ويوم أن وصل الخبر لأمى . . ندبتني وبكت كثيراً . . لأننى صرت شاعراً أظهر فى الصحف والشاعر فى مفهوم ذلك العصر ، وفى مفهومنا هو صاحب الربابة الذى يطرب الناس فى المقاهى ويقص عليهم قصص السيرة الشعبية وذهبت إليها لأسترضيها وكانت قد عميت لكثرة الأحزان . . موت أبى وبتر ساقى وكونى شاعراً . . عدت إليها ببدلة أنيقة وطربوش . . فتحسست ملابسى وقامتى واطمأنت لهيئتى وقرت نفسها وطابت . .

● لقد كان شوقى أميراً للشعراء ومحاطاً بسياج مكين من النقاد يتوجونه ويكيلون له المديح برغم وجود حافظ وسائر الكوكبة . . فماذا قال هؤلاء النقاد فى أبى الوفا ؟

نعم كان شوقى مزوداً بكل شىء اللقب والرتبة وأمهات الصحف تفسح له وللأقوال فيه مكاناً فسيحاً بل خصصوا له أعداداً خاصة ومع هذا . . كان النقد أمينا إلى حد كبير . .وأكبر دليل على ذلك ما كتبه الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة أكبر الصحف التى أفردت لشوقى عدداً كاملاً يوم مبايعته أميراً للشعراء كتب يقول عن ديوانه « أنفاس محترقة » :

«وسائر قصائد الديوان أنفاس محترقة لمحمود أبى الوفا فيها من عيون

الشعر مايفخر به الشعر ومايقف إلى جانبها خير ماظهر من الشعر فى هذا الزمن الأخير » .

ماذا قال النقاد الآخرون ؟

وهيكل الأديب والصحفى كان صديقاً حميماً لشوقى وكان يعلم تماماً مدى غيرة أمير الشعراء ومدى فزعه من النقد « حتى ليعتبره سبًّا فى ذات أمير الشعراء كالسب فى الذات الملكية » فما بالك بتقريظ شاعر غيره أوإغداق كلمات المديح له . . دون سواه !

ولم يكتب هيكل وحده عن أبي الوفا بل كتب كثيرون من كبار الأدباء والنقاد مثل الرافعى والعقاد وأمين الخولى والدكتور أحمد الشايب وسيد قطب الذى وصف أبا الوفا وشعره بهذه الكلمات :

« هذا شاعر . . شاعر ولو لم ينظم بيتاً واحداً من الشعر . لأن روحه الطليقة استطاعت أن تخلص من قيود الضرورات البائسة التى تكبل حياته من نشأتها أو أن تنطلق بعد ذلك مرفرفة ترى فى هذه الأرض جمالا وفى تلك الحياة متعة .

شاعر لأن قلبه الودود استطاع أن يرق ويصفو فلاتغشيه الأحقاد الذميمة على هذا الكون الظالم له ولايضطغن فى قرارته على هذه الدنيا التى كشرت فى وجهه والتى عاقبته فى قسوة على بعض ابتساماته شاعر لأنه هذا الذى يقول :

أحب أضحك للدنيا فيمنعني
أن عاقبتني على بعض ابتساماتي
هام الجـواد فعضّته شكيمتهُ
شُلّت أنامل صنَّاع الشكيماتِ

ولم يكن هؤلاء وحدهم الذين قالوا كلمة صادقة فى أبى الوفا وشعره . . جاء بعدهم كثيرون لاتسعهم الذاكرة . . منهم مصطفى السحرتى ومحمد عبد الغنى حسن ووديع فلسطين وكامل الشناوى وعبد المنعم شميس وآخرون . .

بل لقد أثنى الأمير الشاعر عبد الله الفيصل على هذا الديوان وأرسل لى خطاباً رقيقاً شاعرى العبارة وأهدانى « كسوة ملكية » بقى منها هذا العقال المعلق فوق الجدار . . كذلك زارنى فى منزلى البسيط هذا الشاعر عزيز أباظه وغيره من كبار شعراء الوطن العربى . . ودارت بيننا ندوات .

مبايعة بإمارة الشعر

ويدور حديث الذكريات . . ويسترسل الرجل :

« ليس لى شلة أحرص عليها أوتحرص على . . كان العقاد فى زمنى ينفِّس على وكتب مرة مقالين عنى وأتانى فى المطبعة ليطلعنى على ما كتبه وكأنه ينتظر منى لثم يده ! .

وعاصرت عبد الرحمن شكرى وهوليس بشاعر . . فالألفاظ تأتى

للشاعر مختارة لابسة ثوبها وليس الشاعر هو الذى يتكبّدها أويصطنعها اصطناعا كذلك لم أحب أبا نواس ولاالبحترى . .

لم ألجأ لأحد فى شىء ولم أطرق بابا أو أتخذ وساطة وكان الله سبحانه يدبر أمرى دون تدخل . .

أذكر أول عهدى بالوظائف . . حين عينى د . عبد الرزاق السنهورى وزير التربية وكان محبًّا للشعر متعاطفاً مع شعرى خاصة ، عينى دون أن أعلم فى وظيفة فى دار الكتب وأنا لاأرتاح لقيود الوظيفة وذهبت إليه . . وسألنى من حاكيت من الشعراء . . قلت : حاكيت نفسى . . واستمرت جلستنا معاً ثلاث ساعات كان فيها بسيطاً وأخرج غداءه من حقيبته وتناوله معى . . ورفضت الوظيفة حتى لاأكون تحت رحمة قيد أوسلطان . . أو أقع فى براثن وزير أو حاكم يرضى أويغضب فما كان منه إلا أن ألحقنى بوظيفة فى مجلس الوزراء حتى يضمن ألايفصلنى أحد أويقيدنى قيد لأن القانون أيامها ينص على أنه من يصير فى هذا المجلس لايفصل . . وبذلك ضمن لى ألايمسنى وزير يجىء أويذهب وبعدها تقلبت فى وظائف أخرى . . فى بنك مصر . . ودار الكتب ومصلحة الاستعلامات حتى أرغمونى خلالها على التوقيع بالحضور والانصراف كل يوم ولاقبل لى بذلك لحالتى الصحية فهجرت الوظيفة .

وعدا السنهورى . . كانت الزعيمة هدى شعراوى . . أحبت شعرى وفتحت لى مجلسها وآخرون حاولوا أن يجروا قدمى للقصر وللملك . .

ولكننى أبيت ورفضت حتى لاأقيد موهبتى بقيد من القيود أوأحصرها فى مضيق .

بل أكثر من ذلك أصارحك القول . . سعى إلىّ منذ سنوات قريبة وفد من الأدباء والنقاد الماركسيين وعلى رأسهم مسئول حزبى كبير . . وأرادوا أن يبايعونى . . على ماذا ؟

على إمارة الشعر فى الوطن العربى . . وأن يقام لذلك حفل كبير تعلن فيه المبايعة وتحشد له الدعاية الكافية . .

تساءلت لماذا الإمارة وما السبب ؟

قالوا لأنك الشاعر الذى نرى فيه ذلك . . وأشعارك الأخيرة عن الإنسان وإرادته فى ديوان « النشيد وعنوان النشيد » تؤهلك لتكون كذلك فى نظرنا . . كما أنك بحكم نشأتك الكادحة وشيخوختك الصامدة أصلح الشعراء لذلك .

ورفضت تماماً . . وقلت لقد عشت مؤمناً حراً لاأخضع لمذهب ولاأنحاز لمدرسة بعينها . . فهل بعد هذا العمر الطويل أتنازل عن إيمانى وحريتى . . ويأسرنى بريق اللقب وضوء المبايعة ! ؟

ولم أقبل بالرغم من جدلهم وإلحاحهم الطويل . .

فما أنا بالمشغُوفِ ضربة لازبٍ
وليس لسلطانٍ علىَّ أميرُ

وطنى هو الفصحى

● ولقد سافرت إلى باريس للعلاج .. فكيف وجدت أوربا وحضارتها ؟

نعم .. سافرت إلى عاصمة النور للعلاج على نفقة الدولة .. كان ثمة أمل فى ساقى التى بترت نتيجة مرض وليس بسبب حادث . وعشت حوالى عام بها .. قريباً من حى « الشانزلزيه » الشهير .. وعبرت المانش .. وتعرفت على ملامح الفن فيها وطفت بمعالمها وقرأت شعراءها الكبار أمثال لامرتين وهوجو صاحب البؤساء وغشيت أماكنهم ومنتدياتهم ولكنى لم أستسغ تلك الإباحية المطلقة تحت عنوان الحرية والتحضر وعبرت عن ذلك فى قصيدة لى ألقيتها فى حفل أقامه لى لفيف من الأدباء العرب هناك وقلت فيها معبراً عن انطباعى بما شاهدت :

وطنى هو « الفصحى » فكل بلادها
فى مصر أوفى الشام هنَّ بلادى
هذا هو الوطن الذى أحيا له
ولــه أوالى صــادقاً وأعـادى
« باريس » جئت بذات جسمى شاكياً
فصدرتُ أشكو منك ذات فؤادى

حرية الأرواح ما أنا طالبٌ   للناس لا حرية الأجسادِ
الناس ماداموا عبيدَ ميولهم   ما الفرق بين حواضرٍ وبوادى
حرِّر طباع الناس من أصفادها   تلقَ الحياة خلت من الأصفادِ

● وأخيراً . . ماذا بقى من حديث الشعر والذكريات ؟

بقى الكثير . . مما لم أقله بعد . . فمازال فى الصدر أنفاس تتردد . . ومازال فى الوتر ألحان لم أعزفها . .

بودى . . لو طال بى العمر أكثر . . وراجعت الشعر العربى القديم كله ونخلته نخلا . . ونبذت منه الردىء المعاد . . واخترت الجيد المفيد . .

وددت لو أني حذفت من شعرنا العربى ماقيل فى الخمر والمجون والغزل الفاضح . . حتى لايفتن الناشئون من هواة الشعر به وحتى لايولع شباب الجيل القارئ لهذا الشعر بمثل هذه الإغراءات وأن أبقى فقط ماينفع الناس . . ومايصلح أن يكون قدوة ومثلا لاتقليداً أومحاكاة وإثارة للغرائز . .

هذه الأفكار نبتت عندى منذ ثلاثين عاماً وحيل بينى وبين تنفيذها . . ومازلت كبير الأمل أن يوفقنى الله على تنفيذها . . ولدى مشروع آخر أتمنى لو أتيح لى إخراجه للناس . . ذلك أننى أود فى شرح نفسى وتسجيل رحلتى ورصد تجربتى الفنية وتقويم شعرى ومحاسبة نفسى حساباً

عسيراً . . بحيث يجمع ذلك كتاب صغير يكون مفيداً للناس . . ولكن الحياة لاتسعفنى . . فالبصر قد ذهب فلا أملك أن أكتب . . والوحدة كما ترى تملأ حياتى فلارفيق حولى . . وأريد أن أملى ذلك كتابة . . فهل أستطيع وهل يوفقنى الله ؟

* * *

ومضت الساعات تباعاً . . وانسرب الوقت وكأنه لحظات قصار . . وهبت نسمات السحر . . والرجل يتدفق حيوية وشوقاً وكأنه شاب فى العشرين ويتألق حرارة وفيضاً وكأنه يغترف من بحر . . وكلما ظننت أننى أرهقته من أمره عسراً وكبدته سهراً تألق وتدفق أكثر وأكثر . حتى آن لى أن ألح فى الانصراف حرصاً على راحته . . ومد لى يده مصافحاً وكأنه مرغم . . وباليد الأخرى ناولنى كتابين : الأول آخر أعماله الشعرية وهو ديوانه « شعرى » والثانى طبعة جديدة من باكورة دواوينه وهو ديوان « أنفاس محترقة » .

* * *

فماذا يقول شاعرنا بعد حديث ذكرياته العتيق فى هذين الديوانين؟

وما هى ملامحه الشعرية وكيف تطورت واختمرت ونضجت ؟

لنبدأ بديوانه الأول الذى لفت الأنظار إليه وكان بمثابة بطاقة المرور والسفرة الأولى فى عالم الشعر . .

أنفاس محترقة . . قطرة ندى وثورة بركان

هذا الديوان باكورة أعمال شاعرنا . . وبعده تتابعت أعماله الأدبية شعراً ونثراً : « أشواق ، والأعشاب ، وأناشيد دينية ، وأناشيد وطنية ، وأناشيد عسكرية ، وقومية ، وعنوان النشيد وأخيراً ديوان شعرى . عدا تحقيقه للجزء الثالث من الشوقيات ، وللجزأين الثانى والثالث من أشعار الهذليين ، وتحقيق وشرح قصيدة اليتيمة . . »

فى مقدمة الديوان يقول الأستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير المقتطف والعلاَّمة الأديب ، « لم تهبنى الطبيعة الملكة التى تمكننى من معالجة الشعر وأنا مغتبط – وأحسب جمهور القراء مغتبطا كذلك – فأنا إذ أقرأ الشعر وأجد فيه رقيقاً وعنيفاً منأى للنفس عن متاعب الحياة أبحث فيه عن سر أثره فى نفسى فأجد صفة « السماحة » أو « الطلاقة » إذ ذاك تكون القصيدة فى نظرى كالجدول المنساب فى الروض الممرع تحف على جانبيه الخمائل المعطارة ولعل بحثى المبهم عن هذه الصفة فى الشعر حملنى على الإعجاب بشعر « أبى الوفا » إذ قرأت له :

لغة البلابل أين تذهب بين هدْهدِة الهداهدْ ! ؟

فقلت فى ذات نفسى فى شعر هذا الشاعر سماحة القريحة التى يمتاز بها الشعر العالمى . إن ديوان أبى الوفا صفحة من حياته وحياة الشاعر حياة

الإنسانية فى قلبه أملها وألمها ، وفى عقله حيرتها ، وفى وجدانه معتركها . . فأنت ترى الحياة فى هذا الديوان قطرة ندى ، وشذا وردة ، وثورة بركان وإيماناً وبؤساً وأملا وإرادة صلبة وأنفاساً محترقة .

هذه الكلمات من مقدمة الديوان . . أما جماع فلسفة الشاعر ومذهبه الفنى فيلخصها فى أبيات منتقاة تتصدر غلاف الديوان يقول فيها :

أمشى وقلبى على كفى أقول ألا
من راغب فى فؤادٍ صادقٍ حانِ ؟
يحب حتى كأن الأرضَ ليس بها
إلا زنابق من آسٍ وريحانِ
وليس فى الأرض من بُغْضٍ ولاإحنٍ
وليس فى الأرض من ظلم وطغيانِ
وليس من فوقها إلا سواسية
من الصحاب ومن إخوانِ أخدانِ
فلاوربك هذا القلب ماالتفتت
عينٌ إليه فياللبائسِ العانى !

هذا هو شاعرنا . . قلب يتوهج على أطراف الأنامل . . تتراقص خفقاته عبر شعاب الحياة ويدب صاحبها فوق أرضها على عكازته يقول كلمته دون أن يكف عن السير .

حاقت به النُّوب فلم تلطخ خفقته ، وعرك الحياة فلم يرتد محسوراً

مسلوب الابتسامة بل إن الابتسامات لاتقنعه قيود لو يضحك ملء فيه . . أن يطلق الضحكات رنيناً عالياً يتحدى بها الأهوال ويجابه القدر ولكنه وهو الشاعر الجسور يخشى لكثرة ماعبثت فى وجهه الحياة وتجهمت . .

أحب أضحك للدنيا فيمنعنى
أن عاقبتنى على بعض ابتساماتى !

بل إنه لايلبث فى لحظات شجوه أن يترك الضحكة الموجعة تنفلت وتلسع دون أن يذرف دمعة أو يريق آهة بل يضحك ضحكة الكليم وهى أشد وأدهى . . ويسخر بها ويجعلها مطية لفلسفة ممرورة لاوسيلة لشكوى :

فى ذمة الله نفسٌ ذات آمال
وفى سبيل العلا هذا الدمُ الغالى
كأننى فكرةٌ فى غير موضعها
بدت فلم تلق فيها أىَّ إقبالِ
أو أننى جئت هذا الكون عن غلطٍ
فضاق بى رحْبهُ المأهولُ والخالى
أبى . . وفى النار مثوى كل والدةٍ
ووالدٍ أنجبا للبؤس أمثالى

وأبو الوفا . . شاعر أخذت الحياة بتلابيبه . . وألح عليه الشعر فغناه

وأرسله بسيطاً كالنسيم ، ناصعاً كالفل ، نفاذاً كالشعاع مما أكسبه ملامح الامتياز بين رهط الشعراء أبناء النصف الأخير من القرن حتى إنه كما يقول « الرافعى » :

« شاعر ملء نفسه حتى ليعد أحد الذين يعتصم الشعر العربى بهم » ، وحتى أمير الشعراء وهو صاحب الرتب واللقب يتوج أبا الوفا فيمن توجوه عقب عودته من باريس إثر رحلة لم تكلل بالنجاح للعلاج عام **١٩٣٢** فينشد فيه :

غلب البهاءُ على القريض وكأسهِ
فسقى بعذب نشيده العشاقا
البلبل الغَرِدُ الذى هز الربا
وشجى الفصول وحرك الأوراقا
سبّاق غايات البيان جرى بلا
ساقٍ فكيف إذا استرد الساقا ؟
لو يعرف الطبَّ الصناعُ بيانه
أو لو يسيغُ لما يقول مذاقا
غالى بقيمته . . فلم يصدع له
إلا الجناح . . محلقاً خفاقا

كل هذا وأبو الوفا فى مقتبل العمر والشعر منذ بترت ساقه ومات والده فى يوم واحد معاً . . فنزح من قريته إلى المعهد الدينى بدمياط

هـرباً من حياة ضيقة كالحة الجوانب . . وتطلّعا إلى حياة رحبة الجوانب . . وعندما هبط فتى الريف الحالم القاهرة . . تصور أنه يمكنه طرق باب السلطان فيؤذن له . . كأنه «أبو الطيب» يرسل تابعه إلى الخلفاء فينبئهم بأنه على قيد فراسخ فيخّفون له .

وأبرق أبو الوفا تحت وطأة سذاجته وضيق يده وغربته إلى السلطان حسين بعابدين يقول :

« مولاى . . إنى مظلوم فانتصر »

ووقف ينتظر بالباب حتى أدبر الوقت دون أن ينتصر له السلطان . . ! فعاد يدق الأرض شطر الأزهر وتقف الحياة دونه ودون الدراسة به . . فيعمل بالتجارة وتلقفته الحياة فيتفتح على الشعر فهو زاده ونصيره على الزمان العتىّ . .

ويشق نجم شاعرنا مكاناً له فى سماء الأدب وقد تألقت بكواكب عصره ولكنه يرتقى مدارج الالتماع والذيوع فى سنه الباكرة بما ابتدعه من أسلوب فى الأداء على قدر بساطته وليونته ملتهب عارم كأنه الأنفاس المحترقة فى صدر صاحبه ، تلك الأنفاس الجديدة النقية التى هبت على حقل الشعر إبان حقبة زاخرة بالتيارات الأدبية والفنية إذ خرجت مدرسة أبولو بدعواتها التجديدية فى الشعر . . وخرج أبوالوفا بأنفاسه الحارة الصادقة ، وديباجته الشعرية الناصعة التى حشد فيها بجانب رقة الأداء ومراعاة مقتضى روح العصر . . قوة العربية وشموخها . . مثل قوله فى

قصيدته لم يبق فى الحى :

لم يبق فى الحى لاراع ولاوالى
فليت شعرى لمن أشكو له حالى
رَغبت عن معشرٍ ماخلت فيه فتىً
يجوز عن رغبة يوماً بمثقالِ
أستغفرُ الله بل إلا لزُمرتهِ
فمن نديمٍ لقوَّادٍ . . لدجَّالِ
وَمهْمهٍ تأكل الأصداءَ لفحتهُ
بينَ الشجىَ والوجىَ ألقيتُ أثقالى
أعملت فيه العصا علِّى أرى رجلا
قد قيل عنه كريم العم والخالِ
فما تبنَّيتهُ حتى لقيت به
حيًّا . . ولكنّه من قلبهِ . . خالى

قاموسه الشعرى الخاص

إن أهم مايمتاز به الشعراء كما يقول « رتشاردز » صاحب كتاب « العلم والشعر » : « هو سيطرتهم على الألفاظ سيطرة تدعو إلى الدهشة وليس المقصود بذلك معرفتهم كمية هائلة من الألفاظ . . فكمية الألفاظ التى فى متناول الشاعر لاتحدد منزلته من الشعراء وإنما الذى يحدد مكانته الطريقة التى يستخدم بها هذه الألفاظ . . المهم هو مدى إحساس الشاعر بطاقة الألفاظ . . على تعديل بعضها وعلى تجميع تأثيراتها المنفصلة فى العقل واتخاذها موضعها المناسب فى الاستجابة ككل » .

وبمعنى آخر : « أهم مايحتاج إليه الشاعر قبل كل شىء هو الطاقة الإبداعية وإحساس نقدى بالألفاظ . . فالألفاظ تأتى إليه فى حالة الإبداع وتحاول أن تجعله يختارها » .

ومن هنا كان لأبى الوفا قاموسه الشعرى الخاص . . فثراؤه وخصوبته وسيولة موسيقاه لون خاص فى بابه . . ينفرد بنكهة معينة عن مدرستى شوقى والبارودى أوشيوع نفس القدامى وبعث الحياة فى أوصال القوالب الموروثة ، وعن مدرستى أبولو والمهجر وشيوع الإيقاعات الشعرية المحدثة ، وعن مدرسة الغزل الغنائى التى انحصر فيها رامى وعلى محمود طه ، وعن الإغراق النفسى الشجى الذى تميز به الشابى والتيجانى

وناجى . . فانحاز أبو الوفا دون هذه الاتجاهات جميعاً باستقلال شخصيته الشاعرة ، استقلالا كاملا لايجعلنا نقوى على إدراجه بقائمة مدرسة بعينها بل نجعله شاعراً مستقل الذات ينفرد بقاموسه الخاص وإيقاعه النابض الحى الذى ينثال دون أن يكون مجرد تلاعب بالمقاطع أوالمقدرة اللغوية على انتزاع اللفظة من براثن القديم وتحلية القصيد بها بقدر ماهو مذهب فى الأداء النفسى والفنى يعبر عن روح صاحبه بطريق مباشر وبقدر ماهو مزج للألفاظ والموسيقى دون قلق أو انفعال بما يشى بطاقة شعرية نفاذة وطبيعة تلقائية رائقة أسهم فى تعميقها فلسفة شفيفة تكاد تكون بمثابة لحن مميز فى أشعار أبى الوفا . . فلسفة نابعة من صميم موقفه تجاه الحياة والناس ومن تمرده على السدود والقيود . . ومن عزلته الروحية التى فرضها على نفسه حتى لايلوثه غبار الأرض والأحياء . . أتاحت له أن يتوغل فى قلب الأشياء ويحقق له عالماً من الصفاء والحب يكون مسراه فيه جناحاً محلقاً خفاقاً وليس ساقاً خشبية صماء :

كل شىءٍ ألقاه أُلقى عليه　　　بسمة الحب والرضا زالحنانِ
أوَكلُّ الحياةِ صارت جمالا　　　أم أنا حالمٌ على يقظانِ ؟
وفضاء الدُّنا يضاحك عينىَّ　　　وعيناى للفضـــــا تضحكانِ

وأصدق مايقال إن أبا الوفا شاعر مضىء . . فائق المهارة فى توزيع الإضاءة على الجو النفسى للقصيدة وهى إضاءة لصيقة بكلماته وشخصه ليست معمودة أونابية لأنها لاتعدو عملية توصيل من داخله المضىء إلى

خارجه المختلط المُعتم مستغلا إيمانه بأن « الشعر لغة خلال لغة » على حد قول « فاليرى » بما جعله يكثف لغته ورؤياه فجاءت أشبه بالموجات الضوئية ذات الصوت المرقق الرخيم .

ولانعدو الحق أن قلنا إن ذلك إحدى خصائص أبى الوفا كإنسان قبل أن يكون خاصيته كشاعر . . فإذا خلعنا عنه ثوب الشاعر ولقبه عرفناه إنساناً بسيطاً من الناس مهيب الطلعة والنظرة متدفق النور جم البهاء . . تستشعر لمرآه أنساً وجلالا ، وتحس فى حضرته بطمأنينة وأمن ، تترقرق أسارير روحه فوق وجهه المشع حتى لاتكاد تطل من عينيه النفاذتين فتعكس مافى داخل الرجل من قدرة هائلة على الحب والحب بلاحدود . .

ولقد امتزج أبو الوفا الشاعر بأبى الوفا الإنسان فاتحد المزاجان وانصهرا فى بوتقة الفن انصهاراً كان نتاجه أشعاراً مصقولة صافية صادقة لانلمح فيها تناقضاً ما . . بين شخصية الشاعر كإنسان وشعره كشاعر .

ومن هنا يصدق القول على أبى الوفا بأن الفنان لايمكن عزله عن سلوكه وشخصه وأن الفصل بينهما بحجة أن المزاج أو التكوين النفسى مسألة خاصة بصاحبها لاعلاقة لها بإنتاجه ومن ثم وجب تنحيتها جانباً عند التعرض لتقييم الفنان ، فلولا التكوين النفسى والبيئى لكل من بودلير وبايرون على سبيل المثال لما جاءت — أشعارهما على هذا النسق الخاص الذى جعل لهما مذاقاً خاصاً عن سائر الحفنة الرومانسية . .

فالإضاءة والشمول . . والتأمل العميق . والغوص فى روح الكون ، والزهو المطلق وحث الإنسان على ارتياد مجاهل الأبواب المغلقة بالأكف الحديد لتحقيق جنته على الأرض والتغنى بالقيم العليا للإنسان والإصرار على اقتحام قضايا الغيب . هى العالم الشعرى الأثير الذى اختاره شاعرنا لنفسه .

فلسفة أبى الوفا فى النشيد

ذلك كله خيوط فلسفة أبى الوفا تلمسها منبثة فى أعطاف شعره وعلى طول مراحل نموه الفنى . . وهى خلال هذه المراحل الفنية المختلفة لاينالها وهن وإنما نحس بها مشدودة قوية النبرة وتطالعها جياشة عالية القامة دون أن تخفت أمام زحف الشيخوخة التى أصدر فى كنفها ديوانى « عنوان النشيد والنشيد » .

فأنت تقرأ فى عنوان النشيد وهو أشبه بالنسيج الملحمى حول الحياة والغيب والإنسان :

استمع لى . . إن من حق الحياة   للفتى إما يعشْ عيش إله
أو يمت كالصوت لم يُسمعْ صداه

لاتقل لى فى غدٍ عند السماءْ
سوف تلقى الروح أو تلقى الضياء

ولماذا لم يكن هذا اللقاء
هاهنا فى الأرض إن كان لقاء ! ؟

كما تقرأ فى النشيد وهو بمثابة منهاج فكرى نثر فيه جماع فلسفته :

مـغْـرس الأحـرار يستصرخـنـا
أن نُـنقىِّ أرضـه لـلـغـارسين
كـم تمنيت بـأن أفـرشـهـا
زهـرة ورداً وأخـرى يـاسمين
لست أدرى أنا فى سينائه
أم بوادى التيه أم فى طور سين ؟
وبُراقى لم يزل فى عُرْيهِ
لم يهيئْ سرجه روحى الأمين

* * *

لست عندى ثائراً مالم تكنْ
طلقة مقذوفة من مدفعِ
قـدرٌ مـاضٍ إلى غـايـتـه
مُسرعاً حتى ولو لم يُسْرِعِ
لايـبـالى بـالمسـافـات ولا
بـالـذى يـعنيـه كسب الموقع

إننى أبـغـيك فصلا خـامساً
جامعاً . . كل الفصول الأربع

* * *

قِيَمِى العليا إذا لم تَنْسرب
فى دمى القانى فما معنى حياتى ؟
وخلايا الدم إن لم تمتلئْ
قيماً عليا غدت بعض الكُراتِ !

وكما تميز « النشيد وعنوان » النشيد بهذه النبرة الخاصة التى شحذتها الشيخوخة فجاءت مصقولة ناضجة فقد تميزت « أنفاس محترقة » باكورة دواوين شبابه بتحدى الرقاب والمالكين الرقاب والسبق بالجهر بما يؤمن به دون خوف . . حتى كأنك ترى الحياة فى هذا الديوان :

« قطرة ندى ، وشذى وردة ، وثورة بركان ، وإيماناً وبؤساً وإرادة صلبة وأنفاسا محترقة » :

عهد الصراحة مابال الصريح به
لايملك الـنـطق إلابالكنايات
هاج الجواد فعضته شكيمته
شُلَّت أناملُ صنّاع الشكيماتِ !

أو يقول :

يجيش صدرى بصوت دامى الصدى مقروح
الأرض لم يبق فيها من موطن للصريحْ
من لم يُغنِ لموسى غنى . . لعيسى المسيح !

* * *

لا تسألوا يا شهود عن حكمة الأقدار . .
وأين نحن العبيد مما وراء الستار ؟
ومن تخطَّى الحدود يلقى به فى النار

* * *

النار ذات الوقود يا رب يا ستار . .
ريان بحـر الوجود أدرى بموج البحار

آه يايوم لقاها

وأبو الوفا شاعر غزل ملهم . . تهب من أشعاره أنفاس نجد والعرار . . وتذكرنا بنضارة الغزليين من شعراء هذه الفترة من صدر الإسلام وتعيد إليك أصداء البهاء والشريف الرضى . . ولكنه على قدر غزله وولعه بالعذارى والأصداء والينابيع وأنفاس الزهر والربيع واللقاء والشم والضم . . على قدر عفته وحيائه فهو محب من طراز فريد وسع قلبه الكون والكائنات . . ليس شغوفاً بهتك المحصنات وفضح الأسرار . . لكنه دائم التجوال والطواف عله يجد ظلا يأوى إليه :

للحب عندىَ سرٌ لا أبوحُ به
إلا دموعا وآنـــاتٍ وألحانا
فى ذمة الله قلب لم يجد سكناً
يأوى إلى ظله . . فارتدَّ حيرانا !

وكما تشم فيه روح العرْجى والأحوص ووضَّاح اليمن تحس فيه بجدَّة أبي تمام ذكاء وشعراً ، وجدَّة البحترى معنى ومبنى ولكن دون عدوان على ذاتيته وأصالته ولقد شدا أبو الوفا لكل ماتفتح له قلبه وعبر عن حالات وجده من خلال صور النفس والطبيعة فغنى للطير والصباح والقمر والنيل والحدائق ومواكب العيد والمساء والبؤساء وتجد ذلك شائعاً

فى معظم دواوينه وتطالعها بوضوح فى قصائده :

« أميرة ، تعالى ، وردة تفتحت ، عصفورة رأيتها ، حلم العذارى ، علمينى ياحياتى ، عاشقة القمر ، أحببتها ، ذكرى هوى ، وجد ، قلب الفنان . . »

ومن أرق قصائده التى تلمح فيها لغته الراقصة السهلة قصيدة يوم اللقاء فى ديوانه أنفاس محترقة :

آه يا يوم لقاها ليتنى كنت إلها
كنت صيرتك فى الأيام يوماً لا يُضاهى
لأمرت الشمس تبقى فيك لا تبرحْ سماها
ثم أمددتك شهراً رافلا تحت ضياها
فاستحمّتْ بالضياء الأ رضُ من جور دُجاها
وارتوت بالنور حتى نسيت طول ظماها
وأبحتُ الناس للنا س خدوداً وشفاها
فإذا ما كل نفس بلغت فيك مناها
عدتُ فاستغفرت للدنيا جميعاً من خَطاها
آه يا يوم لقاها ليتنى كنت إلها

* * *

وعلى قدر رقة العاشق فيه الذى يود لفرط صفاء حبه أن يوزع هذا الحب على كل الناس ويحيلهم مثله عشاقا . . على قدر هذه الرقة

العاطفية عند أبي الوفا ، يبدد فى الجانب الآخر عنفوان التعبير والقوة عندما يتحدث عن الوطن . وعن نيله وأرضه ، فينقلب عاشقا من نوع آخر يموج قلبه بالثورة والغضب ، داعياً إلى العمل والتحرر فيقول فى قصيدة « أرضنا » :

دغْدغُوا الأرض بالمحاريث حتى
تتعـرَّى لـلشمس بطناً وظهرا
إقـلبـوهـا بـطـنـاً لـظـهـرٍ وإلا
فمحال أن ترجع الأرض بكْرا
عرِّضوها للشمس فالشمسُ أحرى
أن تحيل التراب فى الأرض تبْرا
هذه الأرض أنبتتْ أطيب الطيـ
ـب وأحلى الثمار لونا وعطرا
مالها أصـبـحت كـأن ثـراهـا
نبتُها الحلو خارجاً عنه قَسْرا
أرضُنا عِرْضُنا وللعرضِ حق
إنـنـا نـبْـتـغـيـه عزاً وفـخـرا
نظفـوا الأرض أولاً وأخيرا
نطفوها كى يخرج النبْتُ حرا . .

الديوان العاشر . . الأخير !

يصف الأستاذ أحمد الشايب أستاذ الأدب العربى بالجامعة شعر أبى الوفا فيقول : « ويظهر أن عندنا أسلوبين يعيشان متجاورين : أسلوب تقليدى يلتفت إلى الوراء البعيد . وهو أسلوب جاف .

والثانى أسلوب جديد مضطرب . وبين هذين أوفوق هذين نجد هذا الأسلوب الذى يجمع إلى الجمال الحديث قوة الأسس اللغوية المقررة فيه هذه الرقة العصرية التى تحببه إلى النفوس وفيه هذه القوة العربية السامية وبالاختصار هو الأسلوب الجديد حقاً وهو الذى يجمع بين القديم والحديث ومن أمثلته أسلوب أبى الوفا . . »

اسم الديوان « شعرى » وهو الديوان العاشر فى سلسلة إنتاج شاعرنا الكبير محمود أبى الوفا . . صدر فى صمت شديد وتكدست نسخه فى مخازن وزارة الأوقاف حتى كأنه لم ير النور ! وهو حصيلة نصف قرن من التمرس بفن القول والتجوال فى دروب التعبير منذ جمجم بالشعر فى العشرينات ثم أصدر ديوانه الأول « أنفاس محترقة » فى مطلع الثلاثينات وكان بمثابة نسمة صافية رقيقة هبت على حديقة الشعر العربى إبان هذه الفترة الباكرة . .

ولعل خير تعبير عبر به الشاعر عن نفسه ومذهبه فى الأداء النفسى

والفنى تلك المقدمة الموجزة التى تصدرت ديوانه واعترف فيها بمذهبه فى الشعر فقال :

« ماهمت بشاعر ولا انجذبت إلى مدرسة ولاتعلقت بقدوة وماعرفت لى أى مذهب غير ماأحببت أن أذهب إليه حتى وإن لم يتفق هذا مع أى مذهب ، إن المذاهب أوالمدارس لابد لها من التبعية أوالتقيد أوالالتزام وهذا ما كنت لا أطيقه بأى حال . . وأحسب أن هذا لايعنى الرفض بل لعله لايعنى أكثر من أننى كنت مفتوح الصدر للجميع . . .ولقد كنت ومازلت أرنو للنجوم على كثرتها فى السماء وإذا بكل واحدة لها مالها من السناء ، وعليها ماعليها من الحسن والرونق والبهاء ، فلايسعنى إلاحين أستمتع بكل هذه الآلاء ، إلاأن أبسط راحتى وأدعو للجميع بطول البقاء . »

من هذا المنطلق وأعنى به الحرية والحب . . الحرية فى التعبير عن النفس تحت شعار الالتزام بالأكمل والأجمل . . والحب الصادق الشامل للإنسان أينما كان وللحياة كيفما كانت . . ارتكازاً إلى أن الإنسان هو وتر القيثارة الصحيح الذى يجب العزف عليه وله . . حتى يستطيع أن يحقق لنفسه الانتصار على الحقد والهزيمة والانحناء . . ويصنع عالماً أصيلا من العمل والنضال والقيم العليا . .

ولقد عرف أبو الوفا منذ البداية أن الشعر نوع من الاحتراق وأن القابض على الكلمات كالقابض على الجمرات إذا التزم الصدق الحار . .

حتى ليحاسب نفسه حساباً عسيراً بالرغم من الدربة الطويلة واكتمال التجربة الفنية بحكم امتداد عمره المديد فيتساءل . . ترى هل قدم شيئا مفيدا للناس بعد هذا الشوط الطويل الذى قطعه :

لم أقل غير ماحسبتُ مفيداً
ليت شعرى هل قلتُ شيئاً مفيدا ؟
فإذا عشتُ . . عشت حرا ضميرى
مستريحاً لما صنعتُ . . سعيدا
وإذا متُّ . . مت حـرا لأنى
لم أضفْ للحياة قيـداً جديدا
بل إذا مت لم أجر ورائى
من كلامى . . سلاسلاً وحديدا

* * *

إنه يعلن عن هويته منذ البداية فهو رجل لايحب القيود مقيماً أومغادراً . . لأنه مرهف الحس والروح بالقدر الذى لايريد أن يرهق غيره أويثقل على معاصريه حوله . . فيترك خلفه مايلاحقه باللعنة والسخط إن غادرها مخلفاً قيداً . . يود لوينسل منها كما جاء وكأنه الشعاع أضاء ثم ذاب فى الفضاء ملتزماً حدود قوله :

علينا نؤدى للحياة رسالة
هى الحب . . حتى ليس للحب مانعُ

كذلك أدعو الطير . . تحيا هواتفاً
مغردة ماعاش فى الروض ساجعُ

إن الإيمان عند أبى الوفا . . هو الحب بلا حدود والعطاء دون انتظار للجزاء وليس نوعاً من اعتزال الحياة أوالتعصب الأعمى أوالعكوف على التعبد والانغلاق عن تطور الحياة والبشر . . ولكنه عنده العمل والقوة . . القلب والروح . العمل الذى يحقق للإنسان لذة النضال والمشاركة والقوة التى تجعله مزودا بروح شامخة هى مزيج من الإرادة والحرية والإيمان :

تحرّرْ تحرر ما لعيشك قيمةٌ
إذا أنت لم تجعله عيشا محـــررا
أحب الفتى إن يلْقه متذئبٌ
تلّقاه لا ذئبا . . ولـكن غضنفرا
أحبك إنسانا ترى الحـــق صارخاً
فتصدو له صوتاً وسيفا وخنجرا
تحرّرْ وحببْ كل من قد رأيته
بما قد رآه فيك أن يتحررا

تسمعون الآن شكوى الفقراء

ولقد أعان أبا الوفا على إجلاء مذهبه فى الحياة والفن . . وتعميق النزعة الإنسانية لديه شيئان هامان :

الأول : امتداد بساط العمر تحت قدميه فى معترك الحياة بما أتاح له أن يعمق تجربته ويرصد معاناته ويضيف إليهما من حنكة الأعوام ونضج الرؤيا وحكمة الشيخوخة ماصقلها وأجلاها . .

والثانى : هو انفراده بين سائر شعراء جيله بانتمائه الخالص لنفسه وعالمه ونفوره من الصخب وضوضاء الضوء . . وإصراره الشديد على العشق والزهد . . فهو يقاومماينزل به من بلاء وكرب بجرعة حب وصبر . . لابجرعة جحود ونكران . فظل العاشق الجوال والزاهد الصادق بمعنى الكلمة . . انطفأت شعلة الشباب فيه ولم تخب جذوة الحب . . وانطفأ نور البصر وهو فى وحدته الأخيرة . . فاستضاء بنور البصيرة . .

ولقد أعانه هذان العاملان أن يطبق مناهجه على نفسه قبل غيره وأن يلتزم بمذهبه فى الحب والصدق الإنسانى ويحيل الأيام من حوله إلى مسرة وحب خالصين . . ودعوة حارة للتفتح والانطلاق والطموح . .

أحبك ياإنسان أعلى من الذُّرى
وأقرب منها للسماء وأظهرا

فلا أفْق إلا كان وجهك مشرقاً
عليه . . ومنه كان وجهك أنضرا
أحبك يا إنسان أعلى من الذرى
شموخاً ولكن رقة لا تحجّرا

ولقد انطلق أبو الوفا على سجيته حانياً رقيقاً وثائراً ملتهباً . . وساخراً هازئاً سخرية الحكيم الألمعى . . يستهدف من وراء سخريته شحذ الهمة وشد البصر للخطر الداهم نفس الهدف من وراء رقته وحنوه وثورته وعنفوانه . . لا أكثر من أن يأخذ بيد الإنسان نحو الشمس ليكون طلقة مدفع . . أوفصلا خامساً جامعاً « كل الفصول الأربع » من خلال الثورة عليه أوله حيناً أومن خلال الوخز الساخر حيناً آخر :

ومن أكثر القصائد دلالة على روح السخرية والثورة عند أبى الوفا تلك القصيدة المترعة بروح الطفولة والتى كتبها فى أوائل الخمسينات والإستعمار جاثم على الصدور ينتزع كسرة الخبز من أفواه الملايين والقاهرة تحترق علانية . ونشرها بعنوان « تسمعون الآن » ولغطت بها الصحف حينذاك حيث نشرتها « جريدة الاشتراكية » وتناقلتها عنها سائر الصحف فى مصر والوطن العربى وننقلها هنا برمتها :

تسمعون الآن شكوى الفقراء
دائما يشكون ظلم الأغنياء !

ما الذى تشكونهُ يا جُحداء　　عندنا الراديو وسهرات المساءْ
وليالى أم كلثوم الوضاء　　ليلةٌ واحدة فيها الغنَاء . .
عن غذاءٍ وكساءٍ ودواء　　بل عن السودان أيضا والجلاء . .
قل لهم استشعروا بعض الحياء . !
من يقول اليوم إن الأغنياء　　ليس فيهم رحمة بالفقراء
وهمو لو لم يكونوا رحماء　　بكمو يا هؤلاء الضعفاء
لاقتنوا الأرض جميعاً والسماء　　فإذا أنتم عبيدٌ أو إماء
عندهم لا تستحقون البقاء　　فاحمدوه . . واشكروا للأوصياء
إنهم خلَّوا لكم هذا الهواء !

* * *

حوار جسور من قلب مؤمن

ولانجد مثالا صادقاً نسوقه . . على أصالة النزعة الإنسانية عند أبى الوفا ودلالة على قوة تجلده وارتفاعه عن مستوى الحدث . . أكثر صدقاً ودلالة من هذا الحوار الجسور الذى دار بينه وبين نفسه حين رمى عينيه من رمى . . وأسدل الظلام على نورها الستار . . « ١٩٦٩ » .

قالت له نفسه :

هذا هو العمى وليس غشاوة وتزول كما تزعم . . فكيف تريدنى أن أضحك وأبتهج وأظل على حالى من الرضا والإيمان . . لقد كان نور

العين هو « العكازة » التى أتوكأ عليها فى ظلام الوحدة . . كحالى مع ساقى المبتورة التى أستعيض عنها بعكازتى الخشبية . . فياله من صراع وقد فقدت الاثنين معاً العين والساق :

رأى ما رأى حتى غدا اليوم لا يرى
سوى غير شىء أو يرى الشىء مُبْهما
رمى من رمى عينيه فاستلّ فيهما
ضياءهما . . ما كان أقساهُ إذ رمى
وقلت لنفسى كيف أنت فلم تُجب
فقلت أتحتجين ؟ قالت تظلّما
رويدك يا نفس أمالك من نهى
يردك للتُّقيا كما كنت دائما
لئن كنت منذ الأمس عندى كريمةً
فإنك منذ اليوم ما منكِ ألأما

* * *

ويترك نفسه ساخطاً على يأسها وتظلمها من القدر الذى رماه . . ويتلفت إلى عقله عله يجد فيه سكينة ورضاً . . وربما كان أرحم وأحنى من نفسه الجاحدة ولكن العقل يعلن تمرده بدوره ويؤيد سخط النفس :

فما راعنى فى العقل إلا رجوعهُ
إلىَّ كما لو كان سيفاً تثلّما
أرى أن تلك النفس غير ملومة
ولم ترتكب جُوباً ولم تأت مأثما
وماذا على من نور عينيه ينطفى
إذا ظن فى الأقدار ماظنَّ مرغما . .

وحين يجد نفسه محاصراً بين احتجاج النفس وتمرد العقل لايئن ولايصرخ . . وإنما ينتصر على الاثنين ويتجه نحو الأفق الأعلى . . هاتفاً مستجيراً . . رافضاً ذلك اليأس والتذمر الذى أعلنه كل من عقله ونفسه طارقاً باب الله راضياً بعطاياه :

إلهىَ ذا عقلى ونفسى كلاهما
غوىٌّ فكن لى يا إلهىَ منهما
هوى النفس يُصبى العقل إن كليهما
مرايا أخيه . . يا لنا من كليهما
تباركت يامعطى النهار ضياءه
ويامعطىَ الليل الظلامَ فأظلما
لأمرِ الذى لا أمر من فوقِ أمرهِ
رضينا بما يرضى ولو كان مُؤلما

* * *

ولو كان الأمر هو فقدان البصر فى فترة من حياته ملأها صقيع الوحدة والشيخوخة لهان الأمر . فلقد فقد الساق فى مقتبل الشباب وأصر على أن يواصل الرحلة بساق واحدة . . ولكن ما أدهى وأمر هو فقدان الامتلاء وحلاوة الصحبة . . وهما بمثابة الدفء والنور له . . فقد انصرف الجميع وتركوه للفراغ رهين المحبسين . . وخلا البيت من حوله . . وقلت الأيدى التى تدق عليه الباب فهل يكفر وينهزم ويلعن الحياة والناس . .

كلا . . إنه يضىء شمعة بدلا من أن يلعن الظلام . . ويغنى بالأشعار بدلا من أن يذرف الدموع . . فلديه من الكبرياء والصمود وقوة العقيدة والقدرة على العطاء مايجعله مزوداً بسلاح يفل اليأس والانحناء ويقطع براثن الهزيمة التى تضغط فوق عنقه مؤمناً بقوله عاملاً به :

قـــوةٌ لم تُتحْ لقلب جبانِ
تلك فى المرء قـــوة الأيمانِ
ليت شعرى ماذا أراد بنا الخا
لقُ إلا سـيادة الأكـــوانِ

ومن ثم فهو يبارك الحياة برغم قسوتها ويغتفر لمحبيه جميعاً ويسامح الجافين منهم ويبارك لاعنيه . . فكلما زادوه هجراً وقطيعة زادهم حباً وسماحة وكلما تمادوا فى نكرانهم تمادى هو فى هواه وشوقه لهم لأنه

نهل الحب من منهل علوى الرحيق ولأدل على ذلك من تلك القصيدة النابضة التى كتبها إثر نوبة قلب « ١٩٧٢ » نزلت به فظن أنها القاضية :

أحباؤنا أنتم على البعد والقربِ
بعدتم قربتم مالدينا سوى الحبِ
أحبكمو حباً كأنى نهلتهُ
من الحب فى قلب المحبينَ للربِ
فإن قلتمو صِفْه لقلت بأنهُ
سلام وتسليمٌ من القلبِ للقلبِ
على أى درب فى الحياة سلكتمو
سأسلكه حتى وإن لم يكن دربى !
كذلك حبى للذين أحبهم
من الصحب أو ممن يحبهمو صحبى

ولعل خير عزاء للشاعر تلك الكلمات التى قدم بها فضيلة الأستاذ الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود ديوان أبى الوفا الأخير حيث قال :

«كذلك عاش الأستاذ أبو الوفا حياته وطنياً ثائراً ومجاهداً صادق العزم فى سبيل وطنه وكان الشعر سلاحه فى الدفاع عن قضاياه ويتميز شعره فى هذا المجال بالصدق والقوة والحماسة التى تلهب المشاعر وتستجيش النفوس وتستنهض الهمم والعزمات .

وخلاصة ما يقال فى شعر الأستاذ أبى الوفا أنه تعبير صادق عن حياته

ومازالت سلوكا صادقا مع ربه وسلوكاً صادقاً مع نفسه وسلوكاً صادقاً مع الناس .

وحسبه من الجزاء الحق لنفسه المؤمنة وشعره الرصين أنه يحظى برضى الله ورضى النفس ورضى الناس أجمعين » .

وبعد . . مازال فى مزهره ألحان

وبعد . . فهذه ليست دراسة بمعنى الكلمة عن أبى الوفا . . بقدر ماهى تحية حب تشف عن تقديرنا نحن أبناء الجيل . . الذين تنسموا الندى والصدق فى أبى الوفا وسائر الخلصاء والرواد من شعراء القديم الذين صدقوا العطاء والتجديد فكانوا برغم التزامهم بالشكل التقليدى شعراء محدثين بمعنى الكلمة أمثال أبى الوفا ومحمود حسن إسماعيل .

ولقد ظل أبو الوفا على مدى الأعوام الشاعر الغرد الطليق . . شموخاً صموتاً لم يحن قامته لمغنم ولم يلهث وراء ركاب ولم ينزل نفسه غير منزلها . .

يؤمن بمذهبه فى الفن والحياة . . ويقنع بعيشه على هامشها . . ويأوى إلى عزلته الروحية يطل منها على المواكب فى كبرياء . . ويطوى القلب على مافيه بقدر حاجته إلى البوح والمساندة . . ولكنه صبر العظيم حين تقطعه الحسرات وشجاعة المؤمن حين تتكاثر عليه الرزايا . . من جحود ونكران وحاجة ومن ثم انحسرت عنه دائرة الضوء واتسعت لمن يتهافتون عليها ! وانهالت على شعراء جيله الجوائز . . وانفضت عنه وهو أجدى بها وأجدر . . ! حتى تلفتت الدولة إليه أخيراً فقلدته وسام الفنون

والآداب ماسحة بذلك عن جبهته البيضاء الناصعة وهى تتألق تحت تاج الشيخوخة الفضى : قطرتى جحود وعرق .

جحود الزمن الذى لم ينزع منه الساق والأحباء والأهل فحسب بل نثر فى طرقاته الأحجار :

لم يكْفه أنى على عكازةٍ أمشى فحطَّ الصخر فى طرقاتى

وعرق الرحلة الطويلة التى شارفت الثمانين دون أن يفقد حرارة الشدو وعناق الحياة كأنه عاشقها الذى لم تضنه . . ! والذى مازال فى مزهره مالم يبح به بعد :

فى مزهرى ألحان أخشى أغـــنيهـــا
أخشى على الأوتار من هَوْل ما فيها

* * *

يا مزهر الأقدار غنٍّ بها غنِّ
واشرح على الأطيارْ ما غاب من فنى

أعماق أبى الوفا

١ – ديوان أنفاس محترقة

٢ – ديوان أشواق

٣ – ديوان أعشاب

٤ – الشوقيات (الجزء الثالث) تحقيق

٥ – أشعار الهذليين (الجزء الثانى والثالث) تحقيق

٦ – قصيدة اليتيمة تحقيق وشرح

٧ – أناشيد دينية

٨ – أناشيد وطنية

٩ – أناشيد عسكرية

١٠ – أناشيد قومية

١١ – عنوان النشيد

١٢ – النشيد

١٣ – ديوان شعرى

١٤ – قصة « هؤلاء أبنائى » تحت الطبع .

فهرس

الكتاب القادم

العسكرية الإسلامية

لواء جمال الدين محفوظ

رقم الإيداع	١٩٧٩/٢١٢٣
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٦٥٤ - ١

١/٧٩/٢٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

هـذا الكتاب

يجئ هذا الكتاب فى ذكرى الأربعين للشاعر الراحل محمود أبو الوفا : آخر عنقود الشعراء الكبار .

وقد ظل أبو الوفا يعيش فى الظل طويلاً ، لكن شعره كان معبراً عن القوة والتحدى والأصالة ، فكان صوتاً متميزاً فى عالم الشعر العربى يستحق منا كل تحية وتقدير .

٤٥١٣٥٥/١

١٠

بسم الله الرحمن الرحيم